بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

سيد الشهداء ..

فصل من كتاب الدمعة الساكبة

بقلم الخطيب الدكتور الشيخ محمد جمعة بادي

إنّ سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام هو القوّة الجاذبة التي يعرج إليها الصّادقون في إرتقاءاتهم وطفراتهم إلى الفضيلة ، إذ تجتذبهم روحه المقدسة بشذاها الفواح وتلفتهم دماؤه النبوية الطاهرة ، وقد احتفظت برونقها الشجي رغم كثرة تلك الدّماء التي أريقت على وجه الأرض ورغم تعدّد الكرامات المهتوكة المهدورة في دنيا الإنسانيّة..

وما أكثر مصارع الأبطال والكرام ، وما أشد هولها ووقعها على النفوس ، بيد أن لدماء آل الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وقعا مأساويّا خاصّا على القلوب ، ولمصارعهم أثراً ظاهراً على الوجدان الإنساني ، لما تقلّ تلك الدّماء الطاهرة من معنوية مفعمة بالعطاء الإنساني الوافر ، ولما تضم من حسّ الظلامة الجذاب بطبعه للنفوس.

ولقد انعكست مآسيهم على وجدان الإنسان ، و تبنّاها الصّادقون على تباين مللهم ونحلهم ومشاربهم ومتبنّياتهم الفكريّة ، فسجّلوا إحترامهم وإكبارهم وإعجابهم وانبهارهم لهذه الوثبات الإنسانيّة العملاقه..

فإذا ما لاحظنا إعجاب هؤلاء بسيّد الشّهداء عليه السلام إجتذبتنا عنهم كلمات تشتعل حرارة وفورة وتضطرم حسّا وصدقا ، تعكس كون قضيّة آل محمّد صلى الله عليه وآله المتمثّلة بمصرع سيّد الشّهداء الحسين عليه السلام هي قضية الإنسان المثلى ، التي بها يرقى إلى كماله الأوفى ويصل إلى منتهاه المرغوب..

وسرعان ما تكون نتيجة هذه الدعوى بديهية إذا ما أجلت بنظرك بين العيّنات المتخالفة والصور المتعاكسة من طيوف بني الإنسان وصنوف بني البشر بمشاربهم المختلفة ، وسيسهل البرهان بعد ذلك على كثير من القضايا المهمة والحسّاسة في المقام ، وما أهم أن تدرك ـ أخي القارىء ـ ذلك الإجماع البشري النابض بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام.

يقول الكاتب المسيحي انطون بارا:

الثّورة التي فجّرها الحسين بن علي عليه السلام في أعماق الصدور المؤمنة والضمائر الحرة هي حكاية الحرية الموؤودة بسكّين الظلم في كل زمان ومكان وجد بها حاكم ظالم غشوم، لا يقيم وزنا لحريّة إنسان، ولا يصون عهدا لقضية بشريّة، وهي قضية الأحرار تحت أي لواء انضووا، وخلف أيّ عقيدة ساروا[1].

بين الحسين والحمزة ..

سيد الشّهداء الحمزة بن عبد المطّلب عليه السلام هو فارس حلبة الشهادة الأوّل في الإسلام، المندوب مع ندبة كلّ شهيد، والمتردّد اسمه مع اسم كلّ قتيل على مدى تاريخ حروب وغزوات النبي الكريم عليه السلام..

لقد كان هذا الوسام والإمتياز مختصّاً به ومنحصراً في شخصه الكريم حتّى جاءت مأساة عاشوراء بآهاتها وبأبعادها فاقتحمت لجج الضمائر، فاحتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام مركز الذّروة في هذا المضمار، فعطاؤه يوم شهادته يأبى أن يقاس بعطاء كلّ الشهداء على مستوى تاريخ الدنيا، وهو الشخصية الأولى لأهل بيت النبي الطاهرين عليهم السلام في زمنه، والشخصيّة ذات السمات العظيمة المنحصرة فيه، والنسخة الفاضلة التي لن تتكرّر أبداً، فكان أن انتقل له لقب سيّد الشّهداء تلقائيّاً، فإذا أطلق اللقب عني به مولانا الإمام الحسين عليه السلام وانصرف له.

فالنسبة بينه عليه السلام وبين عمّه عليه السلام من جهة هذا اللقب الكريم كالنسبة بين أمّه الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام وبين الصدّيقة مريم عليها السلام من حيث سيادة النّساء، فإنّ مريم عليها السلام هي سيّدة النساء، لكنّها سيّدة نساء زمانها كما ورد عنهم عليهم السلام، أما مولاتنا الزهراء عليها السلام فإنّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين.

ولقد كان البكاء على سيدنا الحمزة عليه السلام رمزاً للبكاء على الشّهيد، المعبّر عن الإنشداد للشهادة بأهدافها وأبعادها وعن الإرتباط بالبيت النبوي المجيد، ثم انتقلت هذه المكانة إلى سيدنا ومولانا الحسين عليه السلام كانتقال اللقب، إذ هو الرّمز الفرد الذي يبكى عليه عند الحزن على أي شهيد.

وفي الرواية عنه عليه السلام:

---

[1] راجع الحسين في الفكر المسيحي للكاتب المسيحي أنطون بارا ص ٢١ الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ الكويت.

أو ســــــــمعتم بشهـــــــيد أو غريـــــــب فانـــــــدبوني

فالحمزة والحسين عليه السلام.. أو لنقل: الحسين والحمزة عليه السلام.. ثمرتا نبت النبوة والإمامة، وغصنا شجرة البيت الرفيع، وفرعا الدوحة الهاشمية الطيّبة، وشهيدا أهل البيت عليهم السلام، ومن بكاهما النبي صلى الله عليه وآله وحثّ على البكاء عليهما، وهما سيدا الشهداء، إذ أن هذا البيت المبارك هو القدوة في كلّ مكرمة، والقربان الأوّل في تقديم الأضاحي الربّانية.

فهما يحكيان فروسية الفارس العربي الممارس، وشجاعة البطل الكمي المشاكس، ورباطة جأش الهاشمي الضيغم الصنديد، ونخوة الحر الغيور الشهم، وحميّة إباء الضيم والذلّة، وموئل المعالي والشمم، وهما رايتا الدين الحق والفداء، وسيفا نصرة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وشهيدا الإسلام وسيدا الشهداء.

والكلام عنهما عليهما السلام له حلاوة الشهادة وريح الشمم، والعُلقة بينهما مطّردة بالبسالة والشجاعة، وإذا خضت غمار فضائل الحمزة عليه السلام ألفيت نفسك تتحدث عن بعض معالي الإمام الحسين عليه السلام وسموّ معانيه، وأمّا إذا تحدثت عن الإمام الحسين عليه السلام ألفيت نفسك تتحدّث عن كل معاني السمو والمعالي.

ويشرّفني أن أصحبك قارئي الكريم في جولة روائية سريعة حول سيدنا الحمزة عليه السلام، لترى كيف نتدّرج هذه الأخبار ومن غير إختيار تدرّجا منطقيّاً إلى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

فقد اختص الحمزة عليه السلام بفضائل لم يلحقه بها شهيد في الإسلام، وكان له قصب السبق في ميدان الكرامة والبذل بين يدي النبي الكريم صلى الله عليه وآله، حتّى استحوذ على قلبه الكبير، فأولاه الوحي عناياته الخاصّة ولفت إليه الإنتباه، فهو صاحب الحميّة التي يحبّها الله تعالى، والمحامي عن النبي صلى الله عليه وآله بما أوتي من هيبة وقوّة وسطوة، وهو سيّد الشّهداء المقدّمين في مجال التضحية والفداء بين يدي النبي صلى الله عليه وآله.

لقد سطّرت الكتب المعتبرة له عليه السلام كبريات الفضائل، وقد إجتبيت منها القليل ممّا ورد في كتابي الكافي الشريف ومستدرك الوسائل، وعرضت بين يديك عيون أخباره في تراثنا الشيعي.

فهو عمّ النبي صلى الله عليه وآله القريب من نفسه، إذ كان من بين تسعة أعمام له، وهم جميعاً على الترتيب: الحارث، والزبير، وحجل وهو الغيداق، وضرار وهو نوفل، والمقوم، وأبو لهب وهو عبد العزى، وأبو طالب، وحمزة، والعباس وهو أصغرهم سنّاً، وكان أبوه صلى الله عليه وآله عبد الله أكبر من أبي طالب عليه السلام، وكانوا من أمهات شتّى إلا عبد الله وأبو طالب، فإنهما كانا ابني أم، وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ، وأعقب منهم البنين أربعة، أبو طالب والعباس والحارث وأبو لهب..

ونجد بين الأحاديث ذكر بنتٍ للحمزة عليه السلام وقد خلّفها بعد شهادته، وينقل بعض أهل السيرة

في خبر قافلة الفواطم التي خرج بها أمير المؤمنين عليه السلام من مكّة أنّ إحداهنّ كانت فاطمة بنت الحمزة، وفي أكثر من رواية أن أمير المؤمنين عليه السلام عرض على النبي صلى الله عليه وآله الزواج بابنة الحمزة، فردّ عليه بأنّها بنت أخيه، لأنّ الحمزة كان عمّه وفي نفس الوقت كان أخاه من الرضاع، ومن تلك النصوص الواردة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال أمير المؤمنين عليه السلام: عرضت على رسول الله صلى الله عليه وآله ابنة الحمزة، فقال: أ ما علمت أنّها ابنة أخي من الرّضاع[٢].

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله له محبّا، حبّ العم والأخ والصديق والنّاصر، وكان إسمه من أحبّ الأسماء إلى نفسه، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، وُلد لي غلام، فماذا أُسمّيه؟ قال: سمّه بأحبّ الأسماء إليّ حمزة[٣].

ولطالما كان صلى الله عليه وآله يتشوّق له ويذكره، كما يتشوّق ويذكر أخاه جعفراً الطيّار عليه السلام، وكم ظلّ قلبه عالقاً بهما حتّى قُبض، فإذا سنحت سانحة فمرّ ذكرهما في قلبه أو رآهما في رؤيا قصّ خبرها على أصحابه أنساً منه بذكرهما، وقد روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: رأيت فيما يرى النائم عمي حمزة بن عبد المطلب وأخي جعفر بن أبي طالب، وبين أيديهما طبق من نبق، فأكلا ساعة، فتحوّل العنب لهما رطباً، فأكلا ساعة، فدنوت منهما وقلت: بأبي أنتما، أيّ الأعمال وجدتما أفضل؟ قالا: فديناك بالآباء والأمهات، وجدنا أفضل الأعمال الصلاة عليك، وسقي الماء، وحب علي بن أبي طالب عليه السلام[٤].

وكثيراً ما أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله فضل عمّه وأذاع كرامته، وأنار البرهان ببيان مقامه السامي عند الله عزّ وجل، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: على قائمة العرش مكتوب حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشّهداء، وفي ذؤابة العرش علي أمير المؤمنين.

وقد نزلت الآيات تترى في تشييد صدق إيمانه ورسوخ عقيدته، ولقد تأسّى رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرون عليهم السلام بالقرآن الكريم في بيان بعض فضله الباذخ وتحمّلاته في جنب الله تعالى، ولقد ساوته الآيات في تحمّل عناء التكليف جنباً إلى جنب النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[٥] قال: نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وحمزة وجعفر، وجرت في الحسين عليه السلام[٦].

---

[٢] راجع الكافي (٤٣٧/٥).

[٣] راجع الكافي (١٩/٦).

[٤] راجع المستدرك (٣٣١/٥) وبحار الأنوار (٢٨٣/٢٢).

[٥] سورة الحج الآية ٤٠.

[٦] راجع الكافي (٣٣٧/٨).

ولم يكن من السابقين الأوائل إلى الإسلام فقط، بل كان من أوائل المهتدين إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وستعرف بعد قليل معنى هذه الهداية على التفصيل، فقد روي عن الإمام الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ﴾[٧] قال: ذاك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمّار، هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام[٨].

ولا شكّ أنّه بعد تلك المقامات قد حاز أزكى الأوسمة بشهادته في سبيل الله تعالى، فكان من خير الخلق بشهادة الصادقين، ولم يغب شخصه الكريم عن قلب أمير المؤمنين عليه السلام بعد سنين متمادية من شهادته، فقد ذكره يوم افتتح البصرة لّما ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أيّها النّاس، ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله!!.. حتّى قال: إنّ أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطّلب وجعفر بن أبي طالب[٩].

وكان قد بذل عليه السلام الغالي والنفيس ودافع دفاع المهيّمين العاشقين عن النبي صلى الله عليه وآله، وكانت له حميّة ما عهدها تأريخ النّاس في غيره من العرب، وكانت سبب نجاته وإسلامه..

فقد روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب، وذلك حين أسلم غضبا للنبي صلى الله عليه وآله في حديث السلى الذي ألقي على النبي صلى الله عليه وآله[١٠].

وقد روى الكليني في الكافي حديث السَّلى هذا بالإسناد إلى الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: بينا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلى ناقة، فملأوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب، فقال له: يا عم، كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له: وما ذاك يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف، وقال لحمزة: خذ السلى، ثم توجه إلى القوم، والنبي صلى الله عليه وآله معه، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه، ثم قال لحمزة أَمِرَّ السلى على سبالهم، ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم، ثم التفت أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي، هذا حسبك فينا[١١].

ولقد كان لمصرعه الأثر البالغ على المسلمين جميعاً، ولقد هوى على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله هويّ الصاعقة، وهدّ مصرعه نفسه الكريمة، وخصوصاً أنّه وقف عليه ورآه وقد مُثّل به، وقد جاء في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى عليه وكفّنه لأنّه قد جُرّد.

---

[٧] سورة الحج الآية ٣٤.

[٨] راجع الكافي (١/٤٢٦).

[٩] راجع الكافي (١/٤٥٠).

[١٠] راجع الكافي (٢/٣٠٨)، وبحار الأنوار (٢٢/٢٨٣).

[١١] راجع الكافي (١/٤٤٩)، وبحار الأنوار (١٨/٢٣٩).

وفي الكافي الشريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: دفن رسول الله صلى الله عليه وآله عمه حمزة في ثيابه بدمائه التي أصيب فيها، ورداه النبي صلى الله عليه وآله بردائه فقصر عن رجليه، فدعا له بإذخر فطرحه عليه، فصلى عليه سبعين صلاة، وكبر عليه سبعين تكبيرة[١٢].

وفي بعض الأخبار أنّ سيّدنا الحمزة عليه السلام هو أوّل شهيد يصلّي عليه النبي صلى الله عليه وآله، بل إنّ شهادته صارت سبباً لبلوغ الأمّة البركات بفرض الصلاة على أموات المسلمين أصلاً.

فقد روى الحضيني في الهداية عن عيسى بن مهدي، قال: خرجت أنا ـ وجماعة من الأصحاب وعدّهم ـ إلى سر من رأى في سنة تسع وخمسين ومائتين للتهنئة بمولد المهدي عليه السلام، فدخلنا على سيدنا أبي محمد عليه السلام ونحن نيف وسبعون رجلا، فهنّيناه وبكينا، فقال: إن البكاء من السرور من نعم الله تعالى مثل الشكر لها، فطيبوا أنفساً وقرّوا أعيناً..

إلى أن قال عليه السلام: وفي أنفسكم ما لم تسألوا عنه وأنا أنبئكم به، وهو التكبير على الميّت كيف يكون تكبيرنا خمسا وتكبير غيرنا أربعا؟ فقلنا: يا سيدنا هذا الذي أردنا أن نسألك عنه.

فقال عليه السلام: أول من صلى عليه من المسلمين منا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، فإنه لما قتل قلق رسول الله صلى الله عليه وآله وحزن وقل صبره عليه، فقال وكان قوله حقّاً: لأقتلن بكل شعرة من عمي حمزة سبعين رجلا من مشركي قريش، فأوحى الله تعالى: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[١٣] وإنما أحب الله تعالى أن يجعل ذلك سُنّة في المسلمين، لأنه لو كان قتل بكل شعرة من حمزة سبعين رجلا من المشركين ما كان يكون في قتلهم حرج.

وأراد دفنه وأحب أن يلقى الله مضرجاً بدمائه، وكان قد أمر الله أن يغسل موتى المسلمين، فدفنه بثيابه فصار سنة للمسلمين أن لا يغسل شهيدهم، وأمر الله أن يكبر عليه سبعين تكبيرة ويستغفر له ما بين كل تكبيرتين منها، فأوحى الله تعالى إليه أني قد فضّلت عمّك حمزة بسبعين تكبيرة لعظمته عندي وكرامته علي، وكبّر خمسا على كل مؤمن ومؤمنة، فإني أفرض على أمتك خمس صلوات في كل يوم وليلة أزوّده ثوابها وأثبت له أجرها[١٤].

ولقد فقد النبي صلى الله عليه وآله بفقده الأخ النّاصر والعمّ المعين والفارس الصنديد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فهو مجمع العدد والعدّة لجيشه في صدر الدعوة ومقتبل النهضة، والذي عليه المعوّل

---

[١٢] راجع الكافي (٣/٢١١) وبحار الأنوار (٢٢/٢٨١).

[١٣] سورة النحل: الآية ١٢٦.

[١٤] راجع بحار الأنوار (٧٨/٣٩٥).

في إعزاز الدعوة والذبّ عن رموزها، ونستطيع أن نقول بثقة أنّ مقتله الأليم قد تسبّب في إنعطافة ظاهرة في مسرح الأحداث الإسلامية، ولو لم يعاجله الحتف لتغيّرت الكثير من مجريات الأمور الواقعة بعد شهادته، ولو كان هو وجعفر على قيد الحياة لما اضطر أمير المؤمنين عليه السلام إلى البيعة بعد مضي النبي صلى الله عليه وآله قطعاً، ولكانا له الناصر والردأ والمحامي، ولقد صرّح بهذا الأئمة عليهم السلام في غير موطن.

ففي الكافي عن سدير قال: كنا عند أبي جعفر عليه السلام فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله واستذلالهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال رجل من القوم: أصلحك الله، فأين كان عزّ بني هاشم، وما كانوا فيه من العدد!!

فقال أبو جعفر عليه السلام: ومن كان بقي من بني هاشم؟ إنّما كان جعفر وحمزة فمضيا، وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بالإسلام، عباس وعقيل، وكانا من الطلقاء، أما والله لو أن حمزة وجعفراً كانا بحضرتهما ما وصلا إليه، ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما[١٥].

وروي في كشف المحجّة عن الرسائل للكليني عن أمير المؤمنين عليه السلام نفسه: قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليّ عهداً فقال: يا بن أبي طالب لك ولاء أمتي، فإن ولّوك في عافية وأجمعوا عليك بالرّضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه، فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا معي مساعد إلاّ أهل بيتي، فضننتُ بهم عن الهلاك، ولو كان لي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عمي حمزة وأخي جعفر لم أبايع مكرهاً[١٦].

لقد سخى سيّد الشّهداء بأغلى ما يملك في سبيل الله تعالى، وبذل جوهرة نفسه الغالية رخيصة أمام واهبها الكريم، فأعطاه الله بكرم ربّاني كرامة الدنيا والآخرة، وسيظهر الله تعالى للخلائق كرامته التي غمرها عليه يوم القيامة، حيث يكرّم الله تعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وآل بيته الطيبين عليهم السلام، وقد أظهرت الأخبار الواردة في هذا الصّدد مقام الشفاعة الكبير الذي خصّ الله به محبّيه الأبرار، ولك أن تتأمّل في هذه الرواية لتعلم كيف يحاكي مقام الإنسان في الآخرة أعماله في دار الدنيا.

جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه ليرى يوم القيامة إلى جانب الصراط عالم كثير من الناس لا يعرف عددهم إلا الله تعالى، هم كانوا محبي حمزة، وكثير منهم أصحاب الذنوب والآثام، فتحول حيطان بينهم وبين سلوك الصراط والعبور إلى الجنة، فيقولون:

---

[١٥] راجع الكافي (١٨٩/٨)، وبحار الأنوار (٢٥١/٢٨).

[١٦] راجع مستدرك الوسائل (٧/١١).

يا حمزة قد ترى ما نحن فيه!! فيقول حمزة لرسول الله ﷺ ولعلي بن أبي طالب عليه السلام: قد تريان أوليائي يستغيثون بي!!

فيقول محمد رسول الله ﷺ لعلي ولي الله عليه السلام: يا علي، أعن عمك على إغاثة أوليائه واستنقاذهم من النار، فيأتي علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الرمح الذي كان يقاتل به حمزة أعداء الله في الدنيا فيناوله إياه، ويقول: يا عم رسول الله ويا عم أخي رسول الله، ذد الجحيم بالرمي عن أوليائك برمحك هذا كما كنت تذود به عن أولياء الله في الدنيا أعداء الله..

فيناول حمزة الرمح بيده، فيضع زجّه في حيطان النار الحائلة بين أوليائه وبين العبور إلى الجنة على الصراط، ويدفعها دفعة فينحيها مسيرة خمسمائة عام، ثم يقول لأوليائه والمحبين الذين كانوا له في الدنيا: أعبروا.. فيعبرون على الصراط آمنين سالمين، قد انزاحت عنهم النيران وبعدت عنهم الأهوال، ويردون الجنة غانمين ظافرين[١٧].

والشهيد من هذه الأسرة الكريمة يحتضي بشرف خاص دون سائر الشهداء قطعاً، فالقتيل منهم سيّد الشّهداء، ويقفُ وراء نيل سيدنا الحمزة بن عبد المطلب عليه السلام هذا الوسام الكبير سرّ لطيف، فلقد آثر وأبلى والتزم إلتزاما ببيعته لرسول الله ﷺ، إذ أن المسلمين كانوا قد بايعوا النبي ﷺ على الصمود حتّى الشهادة يوم أحد، وتعهّد النبي ﷺ وضمن على الله للشهداء منهم المقام الكريم، وتعهّدوا له بعدم الفرار مهما كلّف الأمر..

وكان في أحد أن فرّوا من الزحف كما هو معروفٌ ومبيّن في كتب السيرة، بل وعادوا أدراجهم يجرّون أذيال الهزيمة إلى المدينة، وإستجاب أكثرهم لهتاف الشيطان وتخويفه وصدّقوا خبره، ممّا أضعف الجبهة وألان واجهتها وظهرها، فثبت سيدنا الحمزة عليه السلام في قلب المعركة، وصمد حتّى استشهد، وصمد معه ثلّة قليلة يتقدّمها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فقاتل حتّى جلى الكرب وحامى عن النبي ﷺ، وقد خلّد الله تعالى صمودهما بالكرامة الباقية..

وفي بحار الأنوار: روي عن أبي واثلة شقيق بن سلمة، قال: كنت أماشي عمر بن الخطّاب إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مه، ماذا يا عمر!! قال: ويحك أ ما ترى الهزبر القضم بن القضم، والضارب بالبهم، الشديد على من طغى وبغى بالسيفين والراية، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب. فقلت له: يا هذا، هو علي بن أبي طالب.

فقال: أدن مني أحدثك عن شجاعته وبطولته، بايعنا النبي يوم أحد على أن لا نفر، ومن فر منا فهو ضال، ومن قتل منا فهو شهيد والنبي زعيمه، إذ حمل علينا ماءة صنديد، تحت كل

---

[١٧] راجع بحار الأنوار (٦٨/٨) عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

صنديد ماءة رجل أو يزيدون، فأزعجونا عن طحونتنا، فرأيت عليّاً كالليث يتقي الذر، وإذ قد حمل كفا من حصى فرمى به في وجوهنا، ثم قال شاهت الوجوه وقطت وبطت ولطت، إلى أين تفرون، إلى النار، فلم نرجع، ثم كرّ علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت.

فقال: بايعتم ثم نكثتم، فو الله لأنتم أولى بالقتل ممن قتل، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً، أو كالقدحين المملوين دماً، فما ظننت إلاّ ويأتي علينا كلنا، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن الله الله، فإن العرب تكرّ وتفر، وإن الكرة تنفي الفرة، فكأنه عليه السلام استحيا فولى بوجهه عني، فما زلت أسكّن روعة فؤادي، فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة[18].

لقد صرّح المؤرّخون أنّه لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد إلاّ أبو دجانة الأنصاري، وسماك بن خرشة، وأمير المؤمنين عليه السلام، فكلّما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فدفعهم عنه وقتلهم حتى انقطع سيفه، ولقد أسلمه الباقون إلى الهلكة، ولقد قاتل سيدنا الحمزة عليه السلام قتال من عاف الحياة، حتّى حطم الرؤوس وأطار الأيدي، وثبت رابط الجأش حتّى استشهد كريماً..

ثم أطلق النبيّ صلى الله عليه وآله بعد عودته إلى المدينة أمره بالبكاء عليه وأقرّ ندبته، ليبقى يومه خالداً على تصرّم الأيام والليالي..

ففي مسكّن الفؤاد: لما انصرف النبي صلى الله عليه وآله من أحد إلى المدينة لقيته جهينة بنت جحش فنعى لها الناس أخاها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت، ثم نُعي لها خالها فاسترجعت واستغفرت، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وتأوهت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن زوج المرأة منها لبمكان، لما رأى صبرها عن أخيها وخالها وصياحها على زوجها.

ثم مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على دار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عيناه وبكى.. ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له!!

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حصين إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بكاءهن على حمزة خرج إليهن وهن على باب مسجده يبكين فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وآله: إرجعن يرحمكن الله، قد واسيتن بأنفسكن[19].

---

[18] راجع بحار الأنوار (٥٢/٢٠).

[19] راجع مسكن الفؤاد ص (١٠٨)، وعنه بحار الأنوار (٩٢/٧٩).

وبأدنى تأمّل يظهر لنا من خلال هذا الحديث النّوري مدى سرور النبي ﷺ بالتفاعل مع أحزانه الكبرى، ولا يبقى مجال للشكّ بعد ذلك في كون البكاء على الشهداء من أهل بيته الطيبين عليهم السلام من أجلى صور السّلوة والعزاء له ﷺ، وإذا تأمّلت في آخر الخبر تجلّى شعاع نوري آخر، إذ إعتبر النبي ﷺ بكاء النساء على عمّه مواساة منهنّ له بالنفس!!

وهذه لفتة تدعونا إلى التفكّر والتدبّر.. بعد الجزم بأنّه قد أمر روحي فداه بالندبة على عمّه، ولقد استمر أهل المدينة في ندبته عند فقد أيّ شهيد، ويحكى أنّه اطّردت هذه العادة واستمرت عند أهل المدينة إلى وقت قريب بندبته عند البكاء على أمواتهم، وقد ذكرنا ذلك..

وكم يعطي الحزين من نفسه حين ينثر لواعج أشجانه وكوامن أحزانه فينقلها من صفحة الضمير إلى ظاهر الأعضاء والملامح، فهو ينقل بأماقيه وأنّاته الكوامن في خلجات النفس من التأثّر والإنفعال، وفي مقامنا هو بذلٌ يستحقّ التكريم، لأنّه حزن مأمورٌ به محبوبٌ عند الله تعالى، وقد تعدّدت العناوين لرجحانه كما ترى، فهو على مصاب جليل من مصائب أهل البيت عليهم السلام ولا بدّ أن يحلّ هذا البذل محل الرضا والقبول عند الكريم ﷺ والأكرمين من أهل بيته عليهم السلام!! فيتجلّى من بعد وجه من وجوه مراد النبي ﷺ من مواساة النفس!!

خصوصاً وأنّهم قد اتخذوا هذا المصاب شعاراً لأحزانهم لفترة طويلة جدّاً، وقد بقي ذكر سيّدنا الحمزة عليه السلام حاضراً في مجالس رثائهم ومحافل تعزيتهم، ولم تخلُ قصائد الرثاة من ذكره إلاّ نادراً..

ففي الكافي الشريف: بالإسناد إلى عبد الله بن إبراهيم بن محمد الجعفري قال: أتينا خديجة بنت عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نعزّيها بابن بنتها، فوجدنا عندها موسى بن عبد الله بن الحسن، فإذا هي في ناحية قريباً من النساء فعزيناهم، ثم أقبلنا عليه فإذا هو يقول لابنة أبي يشكر الرّاثية قولي، فقالت:

أعدد رسول الله واعدد بعده ... أسد الإله وثالثاً عبّاسا

واعدد علي الخير واعدد جعفراً ... واعدد عقيلاً بعده الرؤّاسا

فقال: أحسنت وأطربتيني، زيديني، فاندفعت تقول:

ومنّا إمام المتّقين محمّد ... وحمزة منّا والمهذب جعفر

و منا علي صهره وابن عمه ... وفارسه ذاك الإمام المطهّر

فأقمنا عنده حتى كاد الليل أن يجيء، ثم قالت خديجة: سمعت عمي محمد بن علي عليه السلام وهو يقول: إنما تحتاج المرأة في المأتم إلى النوح لتسيل دمعتها، ولا ينبغي لها أن تقول

هجراً، فإذا جاء الليل فلا تؤذي الملائكة بالنوح[٢٠].

ومن تكريم الشهيد في الإسلام تكريم ضريحه وقبره الذي يضمّ رفاته المتشحّط بدمه الطيّب، ليؤمّه المحبّون والمتبرّكون، كي يستافوا عبق التضحية وشذى الكرامة وطيب العزّة، وبما أن الحمزة عليه السلام كان الشهيد القدوة، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله قد سنّ زيارة قبره الشريف تعظيماً له وتشريفاً وتخليداً لذكره، وأوصى بزيارته أيّما وصيّة، فقال صلى الله عليه وآله: من زارني ولم يزر عمّي حمزة فقد جفاني[٢١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام لمّا سئل عن مساجد المدينة: .. ثم مررت بقبر حمزة بن عبد المطلب فسلّمت عليه، ثم مررت بقبور الشهداء فقمت عندهم فقلت: السلام عليكم يا أهل الديار، أنتم لنا فرط، وإنا بكم لاحقون[٢٢].

وفيه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: ومن المشاهد بالمدينة التي ينبغي أن يُؤتى إليها وتُشاهد ويُصلّى فيها ويُتعاهد مسجد قباء، وهو المسجد الذي أسس على التقوى، ومسجد الفتح، ومشربة أم إبراهيم، وقبر حمزة، وقبور الشهداء[٢٣].

وقد تعزّزت هذه السنّة الأكيدة بفعل الحجج الطّاهرين عليهم السلام، ومعروفٌ أنّ الوقوف على قبره والجلوس عنده من المنقولات الأكيدة عن سيدتنا ومولاتنا الزهراء عليها السلام، وهي الحجّة على الخلق.

فعن مولانا الإمام الباقر عليه السلام: كانت فاطمة صلوات الله عليها تزور قبر حمزة، وتقوم عليه، وكانت في كل سنة تأتي قبور الشهداء مع نسوة معها فيدعون ويستغفرون[٢٤].

وتعدّت النصوص الشريفة إلى تقديس تربته الشريفة بعد أن نصّت على زيارته، فقد شرّف الله به ذلك التراب الطيّب، وطهّره وجعله محلاّ للبركات والرحمة، وقد تقرّبت أم الحجج الطّاهرين عليها السلام إلى الله تعالى بتربته الشريفة، وجاء في مرويّاتنا أن الزهراء عليها السلام كانت تسبّح الله سبحانه بسبحة صنعتها من تربته الشريفة، حتّى تكون القربة إلى الله تعالى مشفوعة بمعنى العطاء في سبيله، وقد تركّز هذا المفهوم العالي في ذهنية المؤمنين، حتى إذا حاز مولانا سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام سيادة الشهداء عدلوا إلى تربته الزاكية المطهّرة، بتقرير من الحجج الطّاهرين عليهم السلام وتأسيس من سيّدة النساء والحجّة على الناس أجمعين عليها السلام.

---

[٢٠] راجع الكافي (١/ ٣٥٨)، وبحار الأنوار (٤٧/ ٢٧٨).

[٢١] راجع المستدرك (١٠/ ١٩٨).

[٢٢] راجع بحار الأنوار (٩٧/ ٢١٤).

[٢٣] راجع بحار الأنوار (٩٦/ ٣٧٩).

[٢٤] بحار الأنوار (٧٩/ ١٦٩).

ففي مكارم الأخلاق، وفي المزار الكبير، عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام: أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت عليها السلام تديرها بيدها تكبر وتسبح إلى أن قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه سيد الشهداء فاستعملت تربته، وعملت التسابيح فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين صلوات الله عليه عدل بالأمر إليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية[٢٥].

وفي رواية أنّه سئل أبو عبد الله عليه السلام عن استعمال التربتين من طين قبر حمزة والحسين والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام: السبحة التي من قبر الحسين عليه السلام تسبح بيد الرجل من غير أن يسبّح[٢٦].

وروي: أن الحور العين إذا أبصرن بواحد من الأملاك يهبط إلى الأرض لأمر ما يستهدين منه السبح والتراب من طين قبر الحسين عليه السلام[٢٧].

وروي: من سبح بسبحة من طين قبر الحسين عليه السلام تسبيحة كتب الله له أربعمائة حسنة ومحا عنه أربعمائة سيئة وقضيت له أربعمائة حاجة ورفع له أربعمائة درجة، ثم قال: وتكون السبحة بخيوط زرق أربعا وثلاثين خرزة، وهي سبحة مولاتنا فاطمة الزهراء لما قتل حمزة عليه السلام عملت من طين قبره سبحة تسبح بها بعد كل صلاة[٢٨].

وليست بعد هذه الكرامة كرامة، فلقد خصّ الله شهداء آل محمّد صلى الله عليه وآله بمنزلة فاقوا بها جميع الشّهداء في تاريخ الدنيا، وجعل تربتهم مهبط البركات ومعراج الكرامات، وهم مع ذلك يتفاضلون، إلاّ أن كل كرامة للحمزة عليه السلام ثبتت بطريق أولى لمولانا الإمام الحسين عليه السلام، فالندبة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وآله لعمّه وأقرّها أمر بها وأقرّها لولده، فالمناط واحد، و في ولده القتيل أتم وأبلغ، كما أن فضل ولده أكبر وأعظم كما هو مسلّم، وقد علم الناس بالوجدان ذلك، فعدلوا من تربة الحمزة عليه السلام إلى تربة الإمام الحسين عليه السلام.

إن هذه خصوصيات ليست إلاّ لشهداء آل محمد صلى الله عليه وآله، فلا يلحقهم في فضلهم لاحق من شهداء المسلمين مهما علا كعباً وتسامى منزلة، وهذا مبدأٌ مؤكّد كان يفتخر به مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فهو الذي يقول في إحدى روائعه من نهج البلاغة في كتاب كتبه إلى معاوية: إن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء!!

---

[٢٥] بحار الأنوار (٨٢/٣٣٣).

[٢٦] بحار الأنوار (٨٢/٣٣٣).

[٢٧] بحار الأنوار (٨٢/٣٣٣).

[٢٨] بحار الأنوار (٨٢/٣٤١).

وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه!! أ و لا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله؟ ولكل فضل، حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين!![٢٩].

ولسنا نتردّد في تقديم الإمام الحسين عليه السلام وتفضيله على عمّه الحمزة عليه السلام ونحن في غنى عن تجشّم القول لإثبات ذلك، ويكفي أن نلمّ بذلك إلماماً سريعاً، فالإمام الحسين عليه السلام إمام عمّه وحجّة الله عليه، ودائرة فضل الحمزة عليه السلام لا تشمل أيّ واحد من الحجج الطّاهرين عليهم السلام قطعاً.

ففي إكمال الدين بإسناد يرفعه إلى سلمان قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة: شهيدنا سيد الشهداء وهو حمزة بن عبد المطلب، وهو عم أبيك.

قالت: يا رسول الله، وهو سيّد الشّهداء الذين قتلوا معك؟

قال: لا، بل سيد شهداء الأولين والآخرين، ما خلا الأنبياء والأوصياء، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة مع الملائكة[٣٠].

فتأمّل في قوله عليه السلام: (سيّد شهداء الأولين والآخرين، ما خلا الأنبياء والأوصياء) لتعرف دائرة فضله ومحيطها، إذ لا يمكن أن نفضّل سيّد الشهداء عليه السلام على الأنبياء والأوصياء.. فكيف إذا كان وصيّ محمّد خير الأنبياء صلى الله عليه وآله!! أم كيف إن كان من أصحاب الكساء!! أم كيف إن كان ـ مع هذا ـ شهيداً مظلوماً!! بل كيف إذا قُتل صبراً وقضى عطشاناً غريبا!! أم كيف إذا فُني كلّ أهله وعياله وأصحابه في يوم واحد!! وسيق أهله سبايا بعده!!

فالإمام الحسين عليه السلام كما أسلفت هو الإمام والحجّة على جميع الشهداء والصديقين، وبما فيهم عمّه الحمزة عليه السلام، وإذا صحّت نسبة بينه وبين عمّه فهي نسبة شخصه الشريف إلى أخيه قمر بني هاشم العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام.

ومع صياغة المطلب ننتهي إلى أنّ الشهيد اصطلاحاً هو القتيل بين يدي الإمام الميّت في المعركة، وقد استشهد الحمزة عليه السلام بين يدي إمام حجة هو النبي صلى الله عليه وآله.. وكلّ الشهداء المقتولين في نفس المعركة يشتركون معه في هذا العنوان، إلاّ أنّه أفضلهم من غير شكّ، إذ ورد النص بتفضيله عليهم بكونه سيّد الشهداء، فغاية فضيلته هي دون فضل الإمام والحجّة عليه، ولا تساوغ شهادته شهادة إمامه قطعاً..

مضافاً إلى أنّ معنى شهادة الإمام الحسين عليه السلام تختلف أصلاً عن معنى الشهادة المصطلح، وإن

---

[٢٩] راجع الكتاب رقم (٢٨) من نهج البلاغة.

[٣٠] بحار الأنوار (٢٢/٢٨٠).

صدق الاصطلاح بكلّ شرائطه عليه، لكنّنا نعني بها كونه الشهيد الإمام الحجّة، فهو الشهيد الحجّة على العالمين في الدنيا والآخرة، ولا يمكن قياس أحد عليه.

ولقد دلّت آثارنا المعتبرة على معرفة سيدنا الحمزة عليه السلام بالإمام الحسين عليه السلام معرفة تفصيلية تامّة، وقد لقّنه النبي صلى الله عليه وآله إمامته وإمامة أبيه عليه السلام ليلة شهادته لتتم له بمعرفتها أرفع الدرجات، وهذا من أسرار مقامه العظيم لمن تأمّل وتدبّر، إذ وُفّق لمعرفتهم عليهم السلام وشرح الله صدره لقبولهم والتسليم لأمرهم، وقد يُفهم من فعل النبي صلى الله عليه وآله أنّ من كان في مثل مقام عمّه عليه السلام فهو مكلّف بمعرفة حجج ربّه في زمانه وفي غير زمانه، فهم أئمّته وإن لم يدركهم، كما في آدم عليه السلام وإبراهيم عليه السلام الذَين عُلّما أسماءهم الشّريفة.

روي في كتاب الطرف للسيد ابن طاوس رحمه الله نقلا من كتاب الوصية، عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال:

لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة وحضر خروجه إلى بدر دعا الناس إلى البيعة فبايع كلهم على السمع والطاعة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خلا دعا عليّاً فأخبره من يفي منهم ومن لا يفي ويسأله كتمان ذلك، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وحمزة وفاطمة عليهم السلام فقال لهم: بايعوني بيعة الرضا!!

فقال حمزة: بأبي أنت وأمّي، على ما نبايع؟ أ ليس قد بايعنا!!

فقال: يا أسد الله وأسد رسوله، تبايع لله ولرسوله بالوفاء والاستقامة لابن أخيك، إذن تستكمل الإيمان.

قال: نعم، سمعاً وطاعة.

وبسط يده، فقال لهم: يد الله فوق أيديكم، علي أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار في الجنة، وفاطمة سيدة نساء العالمين، والسبطان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، هذا شرط من الله على جميع المسلمين من الجن والإنس أجمعين ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[31] ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايعُونَكَ إِنَّما يُبايعُونَ اللَّهَ﴾[32].

قال: ولما كانت الليلة التي أصيب حمزة في يومها دعا به رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا حمزة، يا عم رسول الله، يوشك أن تغيب غيبة بعيدة، فما تقول لو وردت على الله تبارك وتعالى وسألك عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟

---

[31] سورة الفتح: الآية ١٠.

[32] سورة الفتح: الآية ١٠.

فبكى حمزة، وقال: بأبي أنت وأمي أرشدني وفهّمني؟..

فقال: يا حمزة، تشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، وإني رسول الله تعالى بالحق.

قال حمزة: شهدت.

قال: وأن الجنة حق، وأن النار حق، ﴿وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها﴾[٣٣] وأن الصراط حق، والميزان حق ﴿فمن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٣٤]، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٣٥] وأن عليّاً أمير المؤمنين.

قال حمزة: شهدت وأقررت وآمنت وصدّقت.

وقال: الأئمة من ذرّيته، الحسن والحسين وفي ذريته.

قال حمزة: آمنت وصدّقت.

وقال: فاطمة سيدة نساء العالمين.

قال: نعم، صدّقت.

وقال: حمزة سيد الشهداء، وأسد الله وأسد رسوله وعم نبيه.. فبكى حمزة حتى سقط على وجهه، وجعل يقبّل عيني رسول الله ﷺ.

وقال: جعفر ابن أخيك طيار في الجنة مع الملائكة، وإن محمدا وآله خير البرية، تؤمن يا حمزة بسرهّم وعلانيتهم، وظاهرهم وباطنهم، وتحيا على ذلك وتموت، توالي من والاهم، وتعادي من عاداهم.

قال: نعم يا رسول الله، أُشهد الله، وأشهدك ﴿وكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[٣٦] فقال رسول الله ﷺ: سدّدك الله ووفقك[٣٧].

---

[٣٣] سورة الحج: الآية ٧.

[٣٤] سورة الزلزلة: الآيتان: ٧ و ٨.

[٣٥] سورة الشورىك الآية ٧.

[٣٦] سورة النساء: الآية ٧٩.

[٣٧] راجع بحار الأنوار (٢٢/٢٧٨).

سيد شهداء الإنسانية

منتهى المطلب، ومآل حديث الشهادة والفضيلة هو سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فهو فارس هذين الميدانين الجليلين بلا منازع، فمهما إنعطف بك الطريق أوصلك إلى هذه الحتميّة المسلّمة، التي تتجدّد على كرور الليالي والأيّام، وتتضوّع نشراً وعبقاً وأريجاً مع كلّ إطلالة شهيد معظّم.

ومن منطلقات ومبادئ عدّة يتربّع المولى أبو عبد الله روحي له الفداء على عرش الشهادة على الإطلاق، فهو فارس هذه الحلبة المتقدّم، وهو الكلمة الطيبة التي تطفح على أفواه الصّادقين كلّما عفّوا وتألّقوا وقالوا حقّاً، لأنّه سيّد الشّهداء في محيط الإسلام، المحيط المقدّس المؤهّل لريادة الإنسان بكل أطيافه وفصائله، فهو سيّد شهداء الإنسانية.

ولاشكّ أنّ هذا المقام الشّامخ له إنعكاساته المطردة على الواقع، فهو نبراس الشهداء وراعي منهجهم وسائقهم إلى الخلود، وهو قدوة المصلحين الثائرين في وجه الإستبداد والظلم تحت أي لواء انضووا، وهو الراية التي لا يرد حاملها إلاّ بفتح مظفّر، وهو شرط الإيمان والإسلام، وهو شفيع المؤمنين والمذنبين يوم القيامة.

فإذا عرفنا المقام المحمود الذي خصّ الله تعالى به جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة المترشّح عن فضله السامي، فهو صلى الله عليه وآله القائل: حسين منّي وأنا من حسين ـ كما سيأتي ... وهو القائل صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[٣٨].

وإنّ له مقاماً كريماً عند الله تعالى يوم القيامة فوق مقام الخواص، وله منزلة عظيمة من منازل جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه المرتضى عليه السلام وأمّه الزهراء عليها السلام وأخيه المجتبى عليه السلام، فهم سفن النجاة، وباب حطّة، والأمان لأهل الأرض والسماء، وقد أصبح وأضحى وأمسى مولانا الإمام الحسين عليه السلام عنوان كرامتهم وشعار فضلهم ورمز مكانتهم، ولهذا فهو أكثر النّاس شفاعة يوم القيامة.

---

[٣٨] وهذا الحديث متواتر جدّاً، وقد روي بطرق عدّة، وقد أخرجه المتقي الهندي في كنز العمّال (١١٥/١٢ ح ٣٤٢٥٩)، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين (١٦٧/٣) وقال: صحيح، بزيادة: وأبوهما خير منهما، وأخرجه البغوي في مصابيح السنة النبوية في كتاب المناقب (١٩٣/٤ ح ٤٨٢٧)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٢/٣)، واخرجه الترمذي في السنن (٦٥٦/٥ ح ٣٧٢٨) في مناقب الحسن عليه السلام وقال: حسن صحيح، وأخرجه المزّي في تحفة الأشراف (٣٩٠/٣ ح ٤١٣٤)، وأخرجه الهيثمي في موارد الضمآن ص (٥١١) باب ما جاء في الحسن عليه السلام ح (٢٢٢٨)، وأخرجه ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تأريخ دمشق ص (٤١ ـ ٤٢ ح ٦٢ و ٦٣ و ٦٤) بطرق عدّة، وتجده في كشف الغمّة للأربلي (١٧٧/٢).

وأمّا إذا أردنا أن نرصف أخبار فضله ومكانته من الدين والقرآن والنبوّة والإمامة فإنّنا سنتجاوز المجلّد الواحد قطعاً، وتكفينا هذه الإشارات في حدود هذا المختصر.

وكم علّمنا سادتنا ولقّننا أئمتنا الطّاهرون عليهم السلام الدعاء والتضرّع إلى الله تعالى بطلب شفاعته عليه السلام خصوصاً، فإنّها من أفضل الغنائم يوم فقرنا وفاقتنا، وهي العدّة عند الحاجة غداً، فهو مصباح الهدى وسفينة النجاة، ورحمة الله الواسعة، وباب نجاة الأمّة، ومظهر كرامة الله تعالى وجوده..

ورد في آخر الزيارة المهمّة المعروفة بزيارة عاشوراء، قول الإمام عليه السلام: ثم تسجد سجدة تقول فيها:

اللهم لك الحمد حمد الشاكرين على مصابهم، الحمد لله على عظيم رزيتي فيهم، اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود، وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام[٣٩].

وينبغي أن يُعلم أن فضله عليه السلام من فضل جدّه صلى الله عليه وآله، فهو وريث جود النبي الكريم صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة، بعد الفراغ من كون كلمات المصطفى صلى الله عليه وآله عموماً وفي حقّه حقائق، لم تصدر على سبيل المجاملة أو المجاز أو المبالغة أو ما شابه، فهو الذي لا ينطق إلاّ بوحي من الله عزّ وجل.

فقد أخرج ابن عساكر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أتت بابنيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه الذي توفّي فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان إبناك فورّثهما شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما حسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا حسينٌ فله جرأتي وجودي.

وفي رواية: أنّها قالت: إنحلهما، قال: نعم، أمّا الحسن فقد نحلته حلمي وهيبتي، وأمّا الحسين فقد نحلته نجدتي وجودي[٤٠].

---

[٣٩] راجع بحار الأنوار (٢٩٢/٩٨)، عن مصباح المتهجّد ص (٧٧٦).

[٤٠] تجد الحديث في الصواعق المحرقة لإبن حجر ص (١٩١) باب الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت ح (١٣) عن الطبراني، وفي كنز العمّال (١١٣/١٢ ح ٣٤٢٥٠) و (١١٧/١٢ ح ٣٤٢٧٢ و ٣٤٢٧٣)، وفي ذخائر العقبى ص (١٢٩)، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ضمن ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص (٣٥) ح (٥٧)، وفي النهاية (٢٩/٥) وقال: نحلته: يقال نحله ينحله نحلاً بالضم، والنحلة بالكسر العطية.